

بسم الله الرحمن الرحيم

المحاضرة السابعة: علوم القرآن

مبحث الحروف السبعة

(الاختلاف في المراد بالأحرف السبعة)

اختلاف العلماء في المراد بالأحرف السبعة:

لقد اختلف العلماء قديما في مسألة الأحرف السبعة المقصودة بهذه الأحاديث على أقوال كثيرة جدا، بلغت كما يقول السيوطي نحوا من أربعين قولاً، وألف فيها بعض العلماء كتبا مفردة مستقلة ككتاب "معاني الأحرف السبعة" للإمام المقرئ أبي الفضل عبد الرحمن بن أحمد بن حسن الرازي المتوفى سنة 454 هـ، وهو مطبوع بتحقيق: د. حسن ضياء الدين عتر، وقال ابن الجوزي في فنون الأفنان في علوم القرآن: وقد ذكر أبو حاتم بن حبان، الحافظ أن العلماء اختلفوا في معناه على خمسة وثلاثين قولاً، فذكرها. وفيها ما لا يصلح الاعتماد عليه في توجيه الحديث. اهـ.

ولا تزال هذه المسألة محل مناقشة ومدارسة يوما بعد يوم، والجدير بالذكر أنه لم يرد عن النبي صلى الله عليه وسلم أو عن الصحابة تفسير لهذا الحديث، إلا ما جاء عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنْ رَسُولِ

اللَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: "كَانَ الْكِتَابُ الْأَوَّلُ نَزَلَ مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ عَلَى حَرْفٍ وَاحِدٍ، وَنَزَلَ الْقُرْآنُ مِنْ سَبْعَةِ أَبْوَابٍ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرَفٍ، زَاجِرٍ، وَآمِرٍ، وَحَلَالٍ، وَحَرَامٍ، وَمُحْكَمٍ، وَمُتَشَابِهٍ، وَأَمْثَالٍ، فَأَحِلُّوا حَلَالَهُ، وَحَرَّمُوا حَرَامَهُ، وَفَعَلُوا مَا أَمَرْتُمْ بِهِ، وَأَنْتَهُوا عَمَّا نُهِيْتُمْ عَنْهُ، وَاعْتَبَرُوا بِأَمْثَالِهِ، وَاعْمَلُوا بِمُحْكَمِهِ، وَآمَنُوا بِمُتَشَابِهِهِ، وَقُولُوا: آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا، وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ". رواه الآجري في "الأربعون حديث" (ص 99)، والطحاوي في شرح مشكل الآثار (115/8)، وابن حبان في صحيحه (20/3)، والحاكم في المستدرک (317/2) وصححه، وقال الذهبي: منقطع.

كلهم رواه من طريق سلمة بن أبي سلمة، عن عبد الرحمن بن عوف، عن أبيه، عن عبد الله بن مسعود مرفوعا.
أهم الأقوال في معنى الأحرف السبعة:

القول الأول: أن هذا الحديث مُشكِلٌ، لأن "الحرف" مشترك لفظي، يطلق على الطرف والوجه واللغة ومجرى الماء والناقة المهزولة، وبما أنه كذلك ولم يرد في الأحاديث ما يفسره فينبغي التوقف فيه.
ورُدَّ هذا القول بأن المشترك اللفظي إنما يتوقف فيه إذا لم تأت قرينة تفسره، وتحمله على المعنى المراد، وسياق هذه الأحاديث يفسر المراد من معنى الحرف.

القول الثاني: أن لفظ السبعة غير مقصود وإنما المراد به التكرير

فقط، ذلك أن العرب إذا أرادت التكرير في الآحاد قالت: سبعة، وفي العشرات قالت: سبعين.

وينسب هذا القول للقاضي عياض، والصحيح أنه ليس له، وإنما ذكر هذا القول القاضي في شرحه لحديث مسلم وساقه كما ساق غيره من الأقوال، ولو يرد في كلامه ما يدل على تبنيه لهذا الرأي، حيث يقول في إكمال المعلم (187/3): واختلف في معنى قوله: "سبعة أحرف": فقيل: هو حصر للعدد، وهو قول الأكثر، وقيل: توسعة وتسهيل لم يقصد به الحصر.

وقال في مشارق الأنوار (188/1): وَقَوْلُهُ أَنْزَلَ هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرَفٍ جَمَعَ حُرُوفًا وَمَعْنَاهُ فَقَالَ سَبْعَ لُغَاتٍ مَفْرُقَةً فِي الْقُرْآنِ وَقِيلَ سَبْعَةَ أَحْكَامٍ وَقِيلَ سَبْعَ قِرَاءَاتٍ وَقِيلَ غَيْرَ هَذَا.

وردّ هذا القول بأن العدد سبعة مقصود، لقول النبي صلى الله عليه وسلم: "فعلمت أن العدة قد انتهت"، وأن النبي صلى الله عليه وسلم لم يزل يستزيده حتى بلغ السبعة.

القول الثالث: أن الأحرف السبعة هي القراءات، وهذا أضعفها لأن

الحديث ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم قبل أن يولد القراء السبعة ولا آباءهم، وحصر القراءات في سبع ليس صحيحاً لأنها تتجاوز السبع، فمن العلماء من ألف في القراءات الثمان كأبي الحسن طاهر بن عبد

المنعم ابن غلبون في كتابه التذكرة في القراءات الثمان، ومنهم من ألف في القراءات العشر كابن الجزري في النشر في القراءات العشر، ومنهم من ألف في القراءات الأربعين كأبي القاسم يوسف بن جبارة الهذلي في كتابه الكامل في القراءات العشر والأربعين الزائدة عليها.

القول الرابع: أنّ المراد بالأحرف السبعة سبع لغات منثورة في

القرءان يتألف من مجموعها، وإن كان أغلبه بلغة قريش، لكن منه ما هو بلغة هذيل وثقيف وتميم وخزاعة وقيس واليمن وعلياً هوازن وسفلى تميم وكعب بن لؤي وكعب بن عمرو أو غيرها من القبائل، واختلفوا في تعيين قبائل اللغات السبعة.

ورُدَّ هذا القول بأن لغات القبائل المذكورة في القرءان تزيد عن أربعين لغة مثل: "إني أعصرُ خمراً" أي عنبا بلغة أهل عمان، "أتدعون بعلاً" والبعل هو الرب بلغة أزد شنوءة، و"لا يلتكُم من أعمالكم" أي لا ينقصكم بلغة بني عبس، و"باءوا" بمعنى استوجبوا بلغة جرهم، و"الوزر": وُلد الولد بلغة هذيل، و"المرجان" صغار اللؤلؤ بلغة اليمن، في قوله تعالى: {أفلم يئأس الذين آمنوا} قال: أفلم يعلموا بلغة هوازن. وقال الفرّاء: قال الكلبى: بلغة النخع، وعن ابن عباس: {يفتنكم} يضلكم بلغة هوازن.

القول الخامس: أن المراد بالأحرف السبعة سبعة وجوه من

المعاني، منهم من يقول: أمر ونهي وحلال وحرام ومحكم ومتشابه وأمثال.

ومنهم من يقول: ناسخ ومنسوخ وخاص وعام ومحكم ومتشابه وقصص.

ومنهم من يقول: حذف وصلة وتقديم وتأخير واستعارة وكناية ومجاز.

ورُدَّ هذا القول أن ما جاء في الأحاديث هو اختلاف في الألفاظ، وقصر المعاني التي يدور عليها القراءان في سبعة قصور، لأن معاني القراءان لا نهاية لها.

القول السادس: أن المراد بالأحرف السبعة: وجوه سبعة من التغيُّر

الطارئ على التركيب، وهي:

1. اختلاف الأسماء من الإفراد والجمع والتذكير والتأنيث: مثل

"والذين هم لأمانتهم لأماناتهم" بالجمع والإفراد.

2. اختلاف وجوه الإعراب: قرأ بعضهم: "ولا يضارَّ كاتبٌ ولا شهيدٌ"،
"ولا يضارُّ"، وقرأ بعضهم: "فتلقَى ءادمُ من ربه كلمتٍ، فتلقَى ءادمَ
من ربه كلمتٌ".

3. اختلاف في تصريف الأفعال: قرأ بعضهم: "ربَّنَا باعِدْ - بَعْدْ - بين

أسفِرْنَا"، وقرأ بعضهم: "ربَّنَا باعَدَ بين أسفِرْنَا".

4. اختلاف بالزيادة والنقص: قرأ بعضهم: "جنات تجري من تحتها"،
"جنات تجري تحتها الأنهار"، وقرأ بعضهم: "وَأَنَّ اللَّهَ الْغَنِيُّ
الْحَمِيدُ"، أن الله هو الغنيُّ الحميد".

5. اختلاف بالتقديم والتأخير: قرأ بعضهم: "فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ"، وقرأ
بعضهم: "فَيُقْتَلُونَ وَيَقْتُلُونَ".

6. اختلاف بالإبدال (بالنقط): "كيف نُنْشِرُهَا، نَنْشُرُهَا"، "بُشْرًا نُشْرًا".

7. اختلاف اللهجات بالفتح والإمالة والقصر والمد والترقيق والتفخيم
مثل خبيراً، بصيراً مثل "هل أتاكَ".

وهذا مذهب ابن الجزري وقريب منه مذهب ابن قتيبة وأبي الفضل
الرازي، وعلى هذا القول فالأحرف السبعة لا زالت موجودة في المصحف
لأن القراءات السبع أو العشر تحتملها وتتضمنها.

ورُدَّ هذا القول بأن الخلاف وقع بين هشام بن حكيم وعمر بن
الخطاب وكلاهما قرشي، وذلك يدل على أن الخلاف ليس في هذه الأوجه
السبعة بل هو خلاف في الألفاظ والكلمات.

القول السابع: أن المراد بالأحرف السبعة أوجه من الألفاظ
المختلفة في كلمة واحدة بمعنى واحد، مثل: "هَلُمُّمٌ وَتَعَالَى وَأَقْبَلْ وَعَجَّلْ
وَأَسْرِعْ وَقَصِدِي وَنَحْوِي" في معنى واحد وهو طلب الاقبال، وهذا قول
جماهير العلماء والفقهاء والمحدثين كسفيان الثوري، والطبري
الطحاوي.

ودليله: أن أبي ابن كعب كان يقرأ "كُلَّ ما أضاء لهم مشوا فيه" مروا فيه سعوا فيه.

وكان ابن مسعود يقرأ "للذين آمنوا انظرونا" أمهلونا، آخرونا. وقرأ أنس "إنَّ ناشئة الليل هي أشدُّ وطئًا وأصوبُ قبلاً" فقال له بعض القوم: يا أبا حمزة إنما هي "أقوم"، فقال: أقوم وأصوب وأهياً واحداً. وقرأ ابن مسعود أيضاً "إنَّ كانتُ إلا زقية واحدة" بدل "صيحة". وقرأ رجل على ابن مسعود "إنَّ شجرة الزقوم طعامُ الأثيم" اليتيم - وكان في لسانه شيء - فقال له ابن مسعود: هل تستطيع أن تقرأ: "إنَّ شجرة الزقوم طعام فاجر"؟ قال: نعم، فاقراً بها.

وأصحاب هذا القول ذهبوا إلى أن الأحرف نزلت للتيسير، فلما وقع الخلاف فيها في زمن عثمان أجمع الصحابة على حرف واحد هو لسان قريش، واستغنوا عن الأحرف الستة الباقية فليس في المصحف اليوم إلا حرف واحد.